معهد الدين القيم

باشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس (شرح السنة للبربهاري)

شرح الشيخ (علي الرملي) حفظه الله

المستوى الثاني

الدرس رقم (8)

التاريخ: الأحد 03/ذو الحجـــــة/1440 هـ

04/آب(أغسطس)/2019 م

الدرس الثامن من شرح السنة للبربهاري

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أمّا بعد:

درسنا اليوم هو تتميم للدروس الماضية في شرح "**شرح السنّة**" للإمام البربهاري رحمه الله،

وآخر ما انتهى بنا الأمر في الدروس الماضية عند مسألة الحوض.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: **([18] والإيمانُ بشفاعَةِ رسولِ الله ﷺ للمُذْنبينَ الخاطِئينَ يومَ القيامَةِ، وعلى الصراط، ويخرِجُهُمْ مِنْ جَوْفِ جَهَنّم، وما من نبيٍّ إلا وله شفاعةٌ، كذلك الصدّيقونَ والشهداءُ والصالحونَ، ولله بعدَ ذلك تَفَضُّلٌ كثيرٌ على من يشاءُ، والخروجُ من النارِ بعدما احْتَرَقوا وصاروا فحَمْاً)**.

من عقيدة أهل السنّة والجماعة الإيمان بشفاعة رسول الله ﷺ لأصحاب الذنوب التي لم تُغفَر.

والشفاعة: هي التوسّط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرّة، هذا أصلها من ناحية الاصطلاح، وهي نفسها التي نحن نسميّها اليوم: "**الواسطة**".

وهذه الشفاعة قسمان:

- شفاعة منفيّة
- وشفاعة مثبتة،

فالمنفية هي التي جاءت في قول الله تبارك وتعالى: ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾[1]،

وفي قوله أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ﴾[2]، وآيات أخرى بهذا المعنى.

ففي هذه الأدلة نفيٌ للشفاعة، وفي أدلة أخرى إثبات للشفاعة؛ فالشفاعة المنفيّة: هي الشفاعة التي تكون من غير إذن ولا رضا، كشفاعة أهل الدنيا حين يأتي شخص عند آخر ويطلب منه شفاعةً عند وزير أو ملك أو مدير أو غير ذلك من أصحاب المناصب أو من له

---

1 [المدثر:48]

2 [البقرة:254]

عنده مصلحة، فيذهب هذا الشخص الذي طُلِبت منه الشفاعة فيشفع؛ سواء رضي الذي شُفِع عنده أم لم يرضَ، وسواء أذِن أم لم يأذن؛ حصلت الشفاعة، وربّما يقبل وهو مُكرهٌ؛ هذه شفاعة أهل الدنيا، وهي التي نفاها الله تبارك وتعالى، فلا تكون عند الله، وهذه الشفاعة هي التي كان يتصوّرها أهل الشرك، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1]

هذه الشفاعة هي التي كان المشركون يشركون بالله لأجلها، يعني كانوا يعبدون الأصنام، لماذا تعبدون الأصنام؟ قالوا: هذه تقرّبنا إلى الله زُلفى، أي، لتشفع لنا عند الله سبحانه وتعالى؛ فيطلبون منها الشفاعة، قل أتنبئون الله، أتخبرون الله، بما لا يعلم، الله صحته، ومعنى الآية: أتخبرون الله أن له شريكاً وعنده شفيعاً بغير إذنه ولا يعلم الله لنفسه شريكاً، في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون، فهذه الشفاعة هي المنفيّة، وهي الحاصلة عند المشركين- سواء مشركي الجاهلية أو المشركين الذين وجدوا في عهد الإسلام أيضاً كالصوفيّة والرافضة؛ كلهم على نفس الطريقة-، المشركون اعتقدوا أن أصنامهم التي يعبدونها ويتقربون إليها تشفع لهم عند الله سبحانه وتعالى سواء أَذِن الله أم لم يأذن، رضي الله أو لم يرضَ؛ هذا كلّه باطل منفي.

وهذه المسألة هي التي تُدرس في كتاب التوحيد، أُدخِلت مسألة الشفاعة في كتاب التوحيد لأجل هذا؛ لأن المشركين اتخذوا الشفاعة ذريعة لعبادة غير الله تبارك وتعالى وجعلوها حُجّة لهم.

أما الشفاعة المثبتة فهي التي تحقق فيها شرطان:

- الشرط الأول: **الإذن**: أي أن يأذن الله للشافع أن يشفع.
- الشرط الثاني: **الرضا**: أن يرضى الله سبحانه وتعالى للمشفوع فيه أن يُشفَع فيه.

هذان الشرطان إذا تحققا كانت الشفاعة مثبتة، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾[2]، وقال: ﴿مَنْ ذَا

1 [يونس:18].

2 [النجم:26]

الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾[1]، أي: لا أحد في إمكانه أن يشفع عند الله إلا أن يأذن الله سبحانه وتعالى له بالشفاعة، قال: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾، وقال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾[2]، إذاً فلا بد من شرطين إذا تحققا فالشفاعة مثبتة، وإذا لم يتحققا فالشفاعة منفية، هذا هو التفصيل في مسألة الشفاعة.

- القسم الأول: الشفاعة المنفية: ضلّ فيها المشركون الذين عبدوا غير الله تبارك وتعالى وجعلوها ذريعة له.
- القسم الثاني؛ المثبتة: وهذه قسمان:
  - القسم الأول: شفاعة خاصّة،
  - والقسم الثاني: شفاعة عامّة

أما القسم الأول فهي الشفاعة الخاصّة بالنبي ﷺ لا يشاركه فيها أحد، وهذه أنواع أيضاً:

- النوع الأول منها: **الشفاعة العُظمى وهي المقام المحمود**، خاصّة بالنبي ﷺ، وهي الشفاعة في أهل الموقف، بعد أن يُبعث الناس يوم القيامة يحشرون في أرض المحشر، ثم تقترب منهم الشمس قدر ميل، وهذا عذاب من الله تبارك وتعالى، فمنهم من يغرق في عرقه فيصل عرقه إلى شحمة أُذنيه ويلجمه إلجاماً، وبعضهم يصل العرق إلى ثدييه، وبعضهم إلى وسطه؛ وهكذا على حسب ذنوبهم، فيشتد عليهم الأمر، ويشتد عليهم الموقف؛ فالأمر متعب ومؤلم، فيأتون إلى الأنبياء يطلبون منهم الشفاعة في تعجيل الحساب؛ يأتون آدم عليه السلام؛ فيذكر ذنباً فيقول: نفسي نفسي، ثم يأتون نوح كذلك، ثم إبراهيم كذلك وموسى كذلك؛ إلى أن يأتوا إلى النبي ﷺ فيقول: "أنا لها أنا لها"، فيذهب ويسجد عند العرش ويدعو بدعوات حتى يأذن الله تبارك وتعالى له بالشفاعة[3].

هذه هي الشفاعة العظمى؛ وهي المقام المحمود الخاص بالنبي ﷺ.

- أما الشفاعة الثانية **الخاصّة أيضاً به ﷺ: فهي شفاعته في أهل الجنّة أن يدخلوا الجنّة**،

---

1 [البقرة:255]

2 [الأنبياء:28]

3 الحديث أخرجه البخاري (7510)، ومسلم (193) عن أنس رضي الله عنه.

فإن أول أمّة تدخل الجنّة هي أمّة محمد ﷺ، جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: "نحن الآخرون الأولون يوم القيامة"[1]، وكذلك فإنّ أمّة محمد عليه الصلاة والسلام لا يدخلون الجنّة حتى يستفتح لهم النبي ﷺ، فيأتي فيطرق باب الجنّة فيجيبه الخازن مَن؟ فيقول: "محمد"، فيقول: بك أُمرت لا أفتح لأحد غيرك، فيفتح له الجنّة[2]، ويدخل الناس الجنّة بشفاعة النبي ﷺ لهم؛ لذلك قال عليه الصلاة والسلام: "أنا أول من يقرع باب الجنّة"[3]، وقال: "أنا أول شفيع في الجنّة"[4].

- أما الشفاعة الثالثة التي **اختص بها النبي ﷺ: فهي شفاعته لأبي طالب،**

وأنتم تعلمون أن أبا طالب مات كافراً ولم يمت مسلماً؛ لأنه آخر ما قال: هو على ملّة عبدالمطّلب ومات على ذلك، وقال الله سبحانه وتعالى في الكفار:﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ يعني أن الكافر لا شفاعة له، لكن أبا طالب مُستثنى، فإذا قلنا إن آية:﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ على عمومها؛ فالمقصود أنها لا تنفعهم شفاعة الشافعين في الخروج من النار إلى الجنّة؛ فتبقى على عمومها، وإذا قلنا: المقصود لا تنفعهم الشفاعة مطلقاً لا في تخفيف العذاب ولا في الخروج من النار؛ فنقول هنا: أبو طالب مُستثنى من هذا الحكم؛ فقد شفع فيه النبي ﷺ بأن لا يكون في قعر جهنم، بل في ضحضاحها[5]؛ يعني هو أخف أهل النار عذاباً كما قال عليه الصلاة والسلام: "هو أخف أهل النار عذاباً في قدميه - في أخمصيه - جمرتان يغلي منهما دماغه"[6]، هذا أخف أهل النار عذاباً نعوذ بالله، أعاذنا الله وإياكم منها.

فهنا هذه الشفاعة لأبي طالب مع أنه مات كافراً لماذا كانت هذه الشفاعة؟

الظاهر والله أعلم لأنه كان يدافع عن النبي ﷺ وينصره؛ لهذا نال الشفاعة، ورضي الله سبحانه وتعالى أن يُشفَع فيه وأذن للنبي ﷺ أن يشفع فيه؛ فهذه خاصة بالنبي ﷺ؛ مع أن النبي

---

1 أخرجه البخاري (238)، ومسلم (855) عن أبي هريرة رضي الله عنه واللفظ لمسلم، ولفظ البخاري: "نحن الآخرون السابقون".

2 أخرجه مسلم (197) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

3 أخرجه مسلم (196) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

4 أخرجه مسلم (196) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

5 أخرجه البخاري (3883)، ومسلم (209) عن العباس رضي الله عنه، ولفظه: " هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار".

6 أخرجه البخاري (6561)، ومسلم (213) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

ﷺ طلب أن يدعو لأُمّه وما أذن الله سبحانه وتعالى له، ولم يرضَ الله أن يشفع النبي ﷺ في أُمّه؛ لكنه رضي أن يشفع في أبي طالب، هذه الشفاعة التي هي التحول في نفس نار جهنّم من العمق إلى الضحضاح.

إذاً لا تكون الشفاعة إلا برضا الله سبحانه وتعالى وبإذنه للشافع أن يشفع، وقد رأيتم هنا أن الله عز وجل أذن للنبي ﷺ أن يشفع ورضي له أن يشفع في شخص دون آخر؛ فالأمر لله سبحانه وتعالى أولاً وآخراً.

إذاً خلاصة الموضوع أن الشفاعة المثبتة قسمان:

- القسم الأول الخاص بالنبي ﷺ.
- والقسم الثاني: العام، أي هو للنبي ﷺ ولغيره من الأنبياء والشهداء وللصالحين وللعلماء وللملائكة أيضاً كلّهم يشفعون؛ هذا معنى أنها شفاعة عامّة

الشفاعة الخاصّة ثلاثة أنواع:

- النوع الأول: الشفاعة العظمى؛ وهي الشفاعة في أهل الموقف؛ وهذه خاصّة بالنبي ﷺ.
- النوع الثاني: شفاعة النبي ﷺ في أهل الجنّة كي يدخلوا الجنّة.
- النوع الثالث: الشفاعة في أبي طالب.

وهذه الثلاثة خاصّة بالنبي ﷺ.

ثم الشفاعة العامّة أنواع، لا نريد أن نطيل في ذكرها، قد استوعبها القرطبي في "**التذكرة**"[1]، وكذلك ابن أبي العز الحنفي في شرحه على "**الطحّاوية**"[2]، والذي يهمنا منها هو: الشفاعة في المؤمنين مِمَّن يدخل النار في أن يخرج منها، هذا الذي يهمنا من هذا القسم -وهو القسم العام؛ خروج المؤمنين من النار إلى الجنّة، هذه الشفاعة هي التي ذكرها المؤلف هنا؛

فقال: (**والإيمان بشفاعة رسول الله ﷺ للمذنبين الخاطئين يوم القيامة**) أي: نؤمن بأن النبي ﷺ سيشفع في المؤمنين الذين عندهم ذنوب، ودخلوا النار بذنوبهم، يشفع فيهم النبي ﷺ فيخرجون من النار إلى الجنّة بشفاعته ﷺ، وسنذكر أدلتها إن شاء الله، وهذه الشفاعة أحاديثها كثيرة متواترة، في "الصحيحين" منها الشيء الكثير، سنقرأ عليكم منها حديثين.

---

1 (ص579-611)

2 (ص202-214)

هذه الشفاعة هي التي أنكرتها المعتزلة والخوارج، لماذا؟

المعتزلة والخوارج -كما تقدّم معنا وكما سيأتي إن شاء الله- من عقيدتهم أن المؤمن الذي يرتكب الكبيرة كافر في الدنيا، بالنسبة للخوارج مخلّد في نار جهنّم، أما عند المعتزلة فهو في منزلة بين المنزلتين؛ بين منزلة الإيمان ومنزلة الكفر؛ في منزلة بينهما، هذه المنزلة غير موجودة في شرع الله لكنها عند المعتزلة موجودة، فهو في منزلة بين المنزلتين، وهو في النهاية مخلّد في نار جهنّم، **يعني النتيجة يتّفقون مع الخوارج فيها؛ وهو أنه مخلّد في نار جهنّم.**

فإذا أثبتوا الشفاعة ماذا سيحصل؟

ستنتقض عليهم أصولهم هذه، أين هذا من قولكم: إن صاحب الكبيرة مخلّد في نار جهنم مع وجود الشفاعة؟

بالشفاعة يخرج من نار جهنّم؛ إذاً تنقض عليهم أصلهم؛ لذلك نفوا هذه الشفاعة ولم يثبتوها؛ بعضهم جاهل في علم الحديث ولم تبلغه الأحاديث، وبعضهم كبراً وعناداً- نعوذ بالله- ، المهم: أنهم نفوا هذه الأحاديث ولم يثبتوا الشفاعة لأهل الكبائر من أمّة محمد، وقالوا: من دخل النار لا يخرج منها أبداً.

هنا أمر استطرادي ولكن من المهم أن ننوّه إليه؛ وهي مسألة التناقض الذي يحصل عند بعض طلبة العلم؛ هذه نَحذَر منها بارك الله فيكم، وقد نبّه عليها ابن تيمية رحمه الله وذكر أن بعض أهل العلم من أهل السنّة يقعون في هذه المسألة، فتجده يقرر عقيدة أهل السنّة؛ لكن عندما تأتيه بعض المسائل ينحرف عن عقيدة أهل السنّة فيتناقض،

يعني الآن لو جئنا كمثال إلى مسائل الأسماء والصفات وعقدنا المقارنة بين المعتزلة والأشاعرة: نجد أن المعتزلة في أصولهم أضبط من الأشاعرة؛ الأشاعرة عندهم تناقضات في عقائدهم لماذا؟ لأنهم أخذوا أصول المعتزلة وحاولوا أيضاً أن يميلوا مع أقوال السلف وعلماء السلف فوقعوا في التناقض والافتراق.

انظروا مسألة رؤية الله سبحانه وتعالى، ماذا قالوا فيها؟

قالوا: العباد يرون الله سبحانه وتعالى لكن من غير جهة، فلم يثبتوا الجهة وأثبتوا الرؤية، فوقعوا في التناقض فضحك عليهم العقلاء؛ هذه المشكلة عند بعض طلبة العلم؛ تجده يقع في

التناقض وهو يشعر أو لا يشعر؛ فيأتي في المسائل العقائدية التي ثبتت بالخطوط العريضة كما يسمى اليوم، فيثبتها، لكن عندما تأتي بعض المسائل المتعلقة بهذه المسألة يتناقض فيها ويَخرج، كالذي يقول لك في مسائل الإيمان: الإيمان اعتقاد وقول وعمل، طيب والكفر ما هو؟ يقول: الكفر هو التكذيب؛ نقضت أصلك الذي قررته! ومثل هذه القضايا، فينبغي الحذر من الوقوع في مثل هذه التناقضات، فاعرف قولك ولوازم قولك؛ حتى لا تقع في مثل هذا الزلل.

الآن هؤلاء المعتزلة والخوارج قد التزموا؛ وكي لا ينقضوا أصولهم: نفوا هذه الشفاعة، فهم من حيث الأصول بقوا على أصولهم، وقواعدهم بقيت لهم سليمة؛ لكنهم ضلّوا في نفي هذه الشفاعة؛ لأن أصلهم فاسد أصلاً، هم لا يريدون أن يقرّوا بأن أصلهم فاسد؛ فوقعوا في نفي الشفاعة لأهل الكبائر.

قال المؤلف :(وعلى الصراط) يعني شفاعته ﷺ للمذنبين المخطئين يوم القيامة وعلى الصراط أيضاً، يعني شفاعته للمخطئين المذنبين يوم القيامة كي لا يدخلوا النار أصلاً، وشفاعته لهم على الصراط، جاء في الحديث أن النبي ﷺ يكون هو والأنبياء على الصراط يقولون: "اللهم سلّم سلّم"[1] هذه شفاعته للناس على الصراط وهي ليست خاصّة بالنبي ﷺ.

قال المؤلف: (ويخرجهم من جوف جهنّم)

أيضاً، فيشفع للبعض أن لا يدخل النار أصلاً، ويشفع للبعض على الصراط، ويشفع للبعض الذين دخلوا جهنّم أن يخرجوا منها.

قال: (وما من نبيٍّ إلا وله شفاعة)

ذكر شفاعة النبي ﷺ أولاً ثم قال:

(وما من نبيّ إلا وله شفاعة، وكذلك الصدّيقون والشهداء والصالحون)،

الصدّيق منزلة أعلى من منزلة الصالح، وقد اختلف العلماء في منزلته مع منزلة الشهيد؛ هل الصدّيق أعلى منزلة من الشهيد أم الشهيد أعلى منزلة من الصدّيق؟

1 أخرجه البخاري (806)، ومسلم (182) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

والصحيح: أن الصدّيق أعلى منزلة من الشهيد؛ فالمراتب كالتالي: الأنبياء، ثم الصدّيقون، ثم الشهداء، ثم الصالحون.

قال: (ولله بعد ذلك تفضّل كثير على من يشاء)،

يعني: بعد أن يشفع الناس وتشفع الملائكة يتفضل الله سبحانه وتعالى، فيحثو ثلاث حثيات من نار جهنّم؛ فيخرجهم إلى الجنّة.

قال: (والخروج من النار بعدما احترقوا وصاروا فحماً)

هذا من فضل الله سبحانه وتعالى على الناس.

نذكر لكم بعض الأحاديث التي وردت في الشفاعة مما يدل على ما ذكرنا فيها.

من أحسن ما ورد فيها وهو جامع: حديث أبي سعيد الخدري، وهو متّفق عليه[1]، وسنقرأه من صحيح مسلم: عن أبي سعيد الخدري: (أَنَّ نَاساً فِي زَمَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "نَعَمْ"، قَالَ: "هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ صَحْواً لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ؟ وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ صَحْواً لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟" قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ)، المضارّة: يعني هل يصيبكم ضرر من ذلك، وفي رواية: "هل تضامّون"[2] يعني أن يضام بعضكم إلى بعض، لا تحتاجون إلى مزاحمة وإلى مضامّة ولا في ذلك ضرر، عندما تكون الشمس ولا يكون هناك سُحب؛ تكون الرؤية واضحة، أو التشبيه بالقمر، فعندما يكون القمر واضحاً ولا يوجد سحب تكون الرؤية واضحة؛ شبّهت بهذا أو بهذا.

قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: "مَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا"، يعني رؤيتكم لله سبحانه وتعالى يوم القيامة ستكون بالوضوح كما ترون القمر وترون الشمس دون أن يكون سحاب في ذاك اليوم.

قال: "إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ؛ لِيَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْصَابِ إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ وَغُبَّرِ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَيُدْعَى الْيَهُودُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟" يعني في الموقف، يؤذّن

---

1 أخرجه البخاري (22، 4919)، ومسلم (183)

2 أخرجه البخاري (554)، ومسلم (63) عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

مؤذّن فيقول: من كان يعبد شيئاً في الدنيا فيلحق به فيتساقطون في نار جهنّم؛ وهذا بالنسّبة للكفرة، حتى يبقى المؤمنون ومن ادّعى الإيمان، وفي هذه الفقرة رد على الذين قالوا: بأن الذين يجوزون على الصراط المؤمنون والكفار؛ هذا القول خطأ؛ وإن قال به بعض العلماء الأفاضل؛ لكن هذا الحديث يرد قوله؛ فهنا الكفّار قد صُفّوا قبل الصراط والذهاب إلى الصراط.

ومعنى قوله: "وغُبّر أهل الكتاب" يعني بقايا من أهل الكتاب.

قال: "فَيُدْعَى الْيَهُودُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللهِ" عُزير نبي وهم يدّعون بأنه ابن الله، "فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ، فَمَاذَا تَبْغُونَ؟ قَالُوا: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا، فَاسْقِنَا، فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَا تَرِدُونَ؟" يعني يشار إليهم إلى موضع يرون فيه سراباً كالماء فيقال لهم: ألا تردون؟ يعني: ألا تذهبون إليه؟

قال: "فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضاً" يعني من شدّة حرارتها وتلاطم أمواجها ولهبها يحطم بعضها بعضاً، "فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ"، انظر الآن ما بقي أحد يعني الذين كانوا يعبدون الأصنام والأنصاب وكذا سقطوا، والآن حتى أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين كانوا يعبدون غير الله أيضاً يتساقطون في النار، "ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللهِ، فَيُقَالُ لَهُمْ، كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَاذَا تَبْغُونَ؟ فَيَقُولُونَ: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا، فَاسْقِنَا، قَالَ: فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَا تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ تَعَالَى مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ" يعني صالح وطالح، "أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا" أي: في أقرب صورة، "قَالَ: فَمَا تَنْتَظِرُونَ؟ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ"، قَالُوا: يَا رَبَّنَا، فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرَ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ، وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ" انظر الآن! "قَالُوا: يَا رَبَّنَا، فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرَ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ، وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ" هذا وصف أهل الجنّة: يفارقون الناس لأنهم غرباء عن الناس؛ فإن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً فطوبى للغرباء، فارَقوا الناس أفقر ما كنا إليهم، يعني: كنا أحوج ما نكون إلى مخالطة الناس ومع ذلك فارقناهم؛ لأنهم كانوا هم في تعبّد وفي طاعة لله سبحانه وتعالى ومخالطتهم الناس ستؤذيهم في دينهم فكانوا يبتعدون عن

مخالطة الناس كما يحصل مع الشباب اليوم، قالوا: (فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم)؛ لأنهم يضرّونهم في دينهم، فلا تستغرب من غربتك؛ فهذا حال أهل الإيمان، "فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ لَا نُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا- مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا"؛ لأنهم ما عرفوه، "حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا؟"، أي: علامة تدلّكم عليه "فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللهُ لَهُ بِالسُّجُودِ، وَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلَّا جَعَلَ اللهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً، يعني: لا يستطيع أن يسجد، "كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ"، كلما أراد أن يسجد ينقلب إلى ظهره، "ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُؤُوسَهُمْ وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَقَالَ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ"، بعد ذلك يأتي دور الصراط، يضرب الجسر على جهنّم، الذي هو الصراط الذي يوضع على جهنّم، فالجنّة لا يصلون إليها حتى يتجاوزون جهنّم، وهذا الصراط يوضع على جهنّم؛ كي يتجاوزوه، "وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ: اللهُمَّ سَلِّمْ، سَلِّمْ"

تحلُّ الشفاعة: يعني يأتي وقت الشفاعة، "ويقولون" هنا لم يُبيّن من الذين يقولون، لكن جاء في رواية أخرى أيضاً في الصحيح قال: "فيقول الأنبياء اللهم سلّم سلّم"[1] ، فهنا يشفع الأنبياء على الصراط فهذا دليل شفاعة الأنبياء على الصراط، "قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْجِسْرُ؟ قَالَ: "دَحْضٌ مَزِلَّةٌ"، يقال: مزَلّة ومزِلّة بكسر الزاي وفتحها،

(دحضٌ مزلّةٌ) المعنى أن الأقدام تزل عليه ولا تثبت، هذا هو الجسر، **وسبب الثبات أو الزلل: الأعمال، فالأعمال هي التي تثبّت وهي التي تزِل**، "فِيهَا خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكٌ، تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا شُوَيْكَةٌ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ"، يعني على هذا الصراط خطاطيف: وهي حديدة حادّة ومنعكفة كالمحجن الخاص بالحصيد، والكلاليب: حديدة كالسنّار، وحَسكٌ: شوكٌ صُلب من حديد، مثل الشوك الذي يكون على الشجر.

---

1 في "صحيح البخاري" (806): "وكلام الرسل يومئذ"، وفيه أيضاً (6573): "ودعاء الرسل يومئذ"، وفي "البخاري" (7437)، ومسلم "182": "ودعوى الرسل يومئذ".

قال: شجرة تكون ببلاد نجد فيها شوك يقال لها شجرة السعدان، فيها شوك كثير، شبّهها بها؛ لكنها من حديد وحادّة، فهذه كلّها تكون على الصراط كي تصيد من يمر بالصراط، "فيمر المؤمنون كطرف العين" هذا كلّه لمَن هو مُعدّ؟ مُعد للمؤمنين وليس للكافرين نسأل الله العافية، "كطرف العين" مجرّد أن تطرف بعينك هكذا، لا تراه، قد مر سريع جدّاً، **وسبب السرعة والبطء هي الأعمال**، وليست القضيّة أنك رياضي أم ليست رياضياً، لا ليس فيها رياضة، هذه تكون حسب أعمالك.

قال: "فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح" انظر الآن ينزل؛ طرف العين وكالبرق، البرق أخف من طرف العين، ثم كالريح، وهي أيضاً أخف سرعة، كلٌّ يتدرج في السرعة، بعضهم يكون أسرع من بعض على حسب الأعمال،

"وكالطّير وكأجاويد الخيل" يعني الخيل الجيدة "وكالركاب" والركاب التي هي الإبل، مسير الإبل، ومسير الإبل أخفض من سرعة الخيل،

"فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، ومخْدوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدوسٌ في نارِ جهَنَّم" الآن هؤلاء الذين يمرّون على الصراط ثلاثة أقسام:

القسم الأول: "ناجٍ مُسلّم" يعني تجاوز سليماً، نجا لم يُصِبْهُ شيء من هذه الكلاليب والخطاطيف.

القسم الثاني: "وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ" مخدوش: يعني أصابته جراح من هذه الكلاليب والخطاطيف لكن مع ذلك لم يسقط في جهنّم.

والثالث: "وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ" ومنهم من خطفته ونزّلته إلى جهنّم، فهم أقسام ثلاثة.

قال: "حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ، فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقاً كَثِيراً قَدِ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ، وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ" يعني هؤلاء المؤمنون الذين يتجاوزون الصراط يشفعون في أصحابهم الذين كانوا معهم في الدنيا على الإيمان، كانوا يصلّون

ويصومون ويحجّون، انظر لهذا الوصف، وماذا كانوا يفعلون؟ يصومون، يصلّون، يحجّون، وهم في جهنّم يعني أصحاب كبائر، أصحاب ذنوب؛ فلا تستهن بالذنب ولا تظن نفسك تنجو كونك صلّيت وصمت، انتهى الموضوع فتفعل ما تشاء، لا، هؤلاء من الذين يصومون ويصلّون ويحجّون ومع ذلك في جهنّم، نسأل الله العافية، وقد عرفتم وصف جهنّم؛ أهون أهلها عذاباً أن توضع في قدميه جمرتان من نار تغلي بهما دماغه، فالأمر ليس هيّناً، هؤلاء بعد أن ينجوا يطلبون من الله سبحانه وتعالى وبإلحاح كي يشفعوا في إخوانهم وكي يتجاوز الله سبحانه وتعالى عنهم، والواحد منهم في إلحاحه كالواحد منكم عندما يعرف حقّه ويلح فيه كي يأخذه، شدّة إلحاحه تكون شديدة، وهم يلحّون على الله سبحانه وتعالى أشد من الذي يلح في طلب حقّه؛ كي يُخرج الله سبحانه وتعالى إخوانهم من نار جهنّم؛ فيأذن الله سبحانه وتعالى لهم؛ فهذه شفاعة من المؤمنين.

قال: "فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ" منهم أنهم كانوا يصلون يصومون، وهذه فيها فضيلة معرفة الصالحين الذين ينجون عند الله سبحانه وتعالى، ففي معرفتهم فضيلة وهي أنه إذا لم يمُنَّ الله عليك بالمغفرة؛ هؤلاء يعرفونك ويُخرجونك، انظر ما قال؟ "أخرجوا من عرفتم، فتُحرّم صورهم على النار؛" كي يعرفوهم، إذاً يعرفونهم بصورهم وبأشكالهم،

"فيخرجون خلقاً كثيراً قد أخذت النار إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه" **كلٌّ على حسب ذنوبه،**

"ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ" تصوّر أنت! هؤلاء ليسوا قليلاً، "فيُخرجون خلقاً كثيراً" ممّن هذا وصفهم "فَيَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقاً كَثِيراً، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَداً مِمَّنْ أَمَرْتَنَا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا" يعني من كان في قلبه مثقال ذرّة: يعني بحجم النملة الصغيرة، من كان في قلبه ذرّة من إيمان أخرجوه، (وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ يَقُولُ: إِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي بِهَذَا الْحَدِيثِ فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا

وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1]، "فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ" هذا دليل على أن الجميع يشفع؛ الملائكة، والنبيّون، والمؤمنون: يشمل الصالحين والصدّيقين، "وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْراً قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَماً، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ" يعني في أوائلها، "يُقَالُ لَهُ: نَهَرُ الْحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ" هذه اسم جامع لحبوب البقول وهي سريعة الخروج تنبت بسرعة، "فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ" السيل: عندما يسيل الوادي مثلاً يحمل معه الغُثاء، ويحمل معه حبوباً، يحمل معه أشياء ويُلقيها على ضفّتيه ثم بعد ذلك تبدأ هذه بالخروج، كذلك هؤلاء المؤمنون، "كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ، أَوْ إِلَى الشَّجَرِ" يعني تجدها متطرّفة ناحية حجر، أو ناحية شجر؛ تنبت من هناك، "ما يكون إلى الشمس أُصيفر وأُخيضر" يعني الذي يكون قريباً من الشمس ظاهراً؛ يخرج أصفر لكن بالتصغير: أُصيفر؛ وأصفر وأخضر، وأما ما يكون منها إلى الظل؛ فيكون أبيض، "فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرْعَى بِالْبَادِيَةِ، قَالَ: " فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِيمُ" في رقابهم خواتيم: يعني مثل السوار أو شيء من هذا يُعرفون به في الجنّة، "يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ اللهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ"؛ ولكنهم من أهل الإيمان، هم مؤمنون فلا يخرج من النار إلى الجنّة إلا مؤمن، لكن ليس عندهم ذاك العمل الذي يُذكَر، "ثُمَّ يَقُولُ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ" أي كل ما وقع نظركم عليه فهو لكم، هؤلاء من أدنى أهل الجنة، "فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا، أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، فَيَقُولُ: لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا، فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا، أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؟ فَيَقُولُ: رِضَايَ، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَداً"[2].

وكذلك جاء في حديث أبي هريرة بهذا المعنى وذكر فيه أيضاً أن الأنبياء يشفعون وكذلك الملائكة، جاء فيه: "إِذَا فَرَغَ اللهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً مِمَّنْ أَرَادَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يَرْحَمَهُ

---

1 [النساء:40]

2 أخرجه البخاري (7439)، ومسلم (183) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، واللفظ لمسلم.

مِمَّنْ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ، يَعْرِفُونَهُمْ بِأَثَرِ السُّجُودِ، تَأْكُلُ النَّارُ مِنَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ، حَرَّمَ اللهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ"[1] ،

ثم ذكر معنى حديث أبي سعيد الخدري، وذكر شفاعة الأنبياء والمؤمنين.

ونكتفي بهذا القدر إن شاء الله

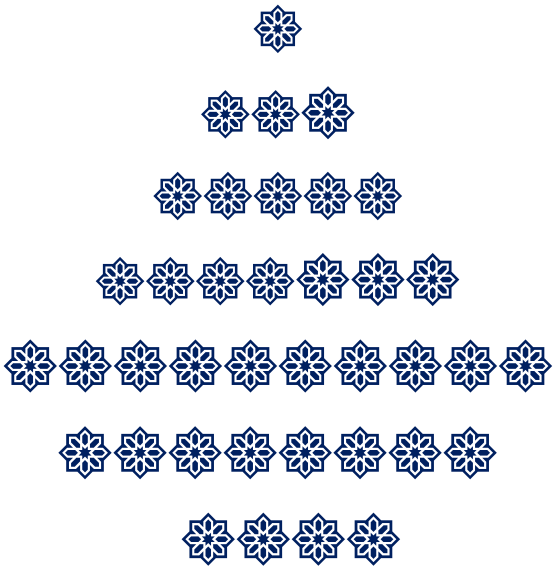

1 أخرجه البخاري (6573)، ومسلم (2968) عن أبي هريرة رضي الله عنه.